● الباب الثالث

□ العنف حول العالم

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

بذور العنف الإسرائيلى ونمو التيار اليمينى!

من يتصدى لرصد الجماعات المتطرفة اليهودية، التى باتت تهيمن على الشارع الإسرائيلى منذ وصول الليكود إلى الحكم فى عام ١٩٩٦، سوف يلاحظ أن الاتجاهات الغالبة على فكر هؤلاء اليمينيين، تنقسم إلى تيارين رئيسيين، يندرج تحت كل منهما عدة جماعات فرعية: التيار الأول: هو الجماعات الصهيونية، التى ترتكز معتقداتها على فكرة أرض الميعاد وشعب الله المختار ويضم جماعة «المزراحى»، وهى بمثابة الجماعة الأم التى خرجت من قلنسوتها جميع التنظيمات المتطرفة الأخرى.. تأتى بعدها جماعة «المفدال» وحركة «تامى» و«موراشا» و«ميماد».

أما التيار الثانى: فهو جماعات التكفير، التى تنقسم إلى فرعين: جماعات شرقية «سفارديم»، وتضم حركة «حبد» و«شاس» و«ناطورى كارتا»، وأخيرًا حركة «ساطمر».. أما الفرع الثانى.. فيضم الجماعات الغربية «أشكناز»، ويندرج تحتها حركات «أجوادات يسرائيل» و«يجيل هاتوراه» أو «علم التوراة». وتصل الخلافات بين هذه الجماعات إلى حد تكفير بعضها بعضًا، وحتى تكفير قيام دولة إسرائيل ذاتها، ولكنهم يتفقون جميعًا على كراهية العرب، واستبعاد الموافقة على تأسيس دولة لهم، أو الاعتراف بحقهم فى العيش على «أرض الميعاد» المزعومة، وتعود نشأة غالبية هذه الجماعات إلى الأسس الفكرية، التى

عبّر عنها الحاخام «أفراهام كول»، قبل قيام الدولة بحوالى ربع قرن، حينما أسس مدرسة «أمركاز هراف»، التى تعدّ أول مدرسة صهيونية متطرفة، تخرج فيها معظم قادة هذه الجماعات، وكانت هذه المبادئ هى الأسس التى قام عليها «حزب العمل الإسرائيلى»، قبل أن يتغير الوضع بصورة درامية بعد حرب ١٩٦٧، وتتجه الجماعات المتطرفة فى إسرائيل إلى التحالف ـ الذى لم يزل قائمًا ـ مع اليمين المتطرف فى تكتل الليكود.

وتندرج تحت هذا التيار خمس جماعات، هى:

*** * المزراحى:**

وهى أقدم تلك الجماعات التى تحولت إلى حزب سياسى بعد قيام الدولة، وتقوم على أفكار الفيلسوف اليهودى «موسى بن ميمون»، ولكنها تأسست تنظيميًّا فى بولندا على يد الحاخام «كسفى هيرش»، والحاخام «إلياهو تماخر»، ولعبت هذه الحركة دورًا بارزًا فى الإعداد لمؤتمر فيينا، الذى عقد فى عام ١٩٠٢، حينما برز قائدها الحقيقى يعقوب رانيس، الذى شارك مع هرتزل فى تأسيس الدولة، وظلت هذه الجماعة هى الأكثر فاعلية على صعيد الواقع السياسى الإسرائيلى، وبرز منها جناح «العامل المزراحى»، الذى ينشط فى أوساط الحركة العمالية، ورسخت هذه الجماعة أساليب جمع التبرعات من الأثرياء اليهود فى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، وأقامت سلسلة من المعاهد الدينية التلمودية، التى تخرج فيها كل صقور إسرائيل من القادة السياسيين والعسكريين، ويصفها الباحثون بأنها «الجماعة الأم»، التى خرجت من قلنسوتها كل ثعابين التطرف!.

*** * المفدال (القوميون اليهود):**

تأسست هذه الجماعة، حينما كوّن الحاخام حاييم دروكمان حركة استيطانية من الشباب، الذين تلقوا تعليمهم الدينى فى مدارس «اليشيفا»، وأطلق عليهم كتلة المؤمنين، أو «جوالثى أيمونيم»، وتبلورت ككيان سياسى مهم فى الفترة بين

حربى ١٩٦٧، و١٩٧٣، التى كانت سببًا مباشرًا لسلسلة من الانقسامات، داخل هذه الجماعة، انتهت إلى إقرار عدة مبادئ أهمها: الحفاظ على أرض الميعاد، واستبعاد قبول وجود كيان فلسطينى، تحت أى مسمى، سواء كان دولة أم سلطة أم حكمًا ذاتيًّا، والإسراع فى إنشاء المستوطنات والتوسع فيها، خاصة فى القدس التى يؤكدون أنها ستبقى العاصمة الأبدية الموحدة لدولة إسرائيل، ودعم دور الحاخامية داخل المؤسسات السياسية والعسكرية والأمنية، واعتبار الخدمة فى الجيش الإسرائيلى ليست مجرد واجب وطنى، بل هى بالدرجة الأولى التزام دينى، ولا مبرر للتهرب منها، حتى لو كان ذلك تحت بند الدراسة التلمودية.

*** * جماعة تامى (تقاليد إسرائيل):**

وهى الانشقاق الثانى من المزراحى، فبعد أن انضم أهارون أبو حصيرة إلى جماعة المفدال، وتمكن من الحصول على مقعد فى الكنيست عام ١٩٨١، انسحب فجأة ليكوّن مع عدد من اليهود الشرقيين ما عرف وقتئذٍ بفاتحة تقاليد إسرائيل، التى لم تطرح أية اختلافات سياسية أو عقائدية تذكر بينها وبين المفدال، لدرجة وصفها فى أوساط المتطرفين اليهود بأنها «مفدال السفارديم»، أو مفدال اليهود الشرقيين، وقد تقلص وجود هذه الجماعة كثيرًا، بعد إدانة أبو حصيرة فى سلسلة من الفضائح المالية والأخلاقية، انتهت بخسارته مقعد الكنيست، وتحوله إلى العمل الحركى، وانضمام عدد من أتباعه إلى حركة أكثر تطرفًا هى «شاس».

*** * موراشا (التراث الصهيونى):**

وهى انشقاق آخر فى لعبة التنظيمات السرطانية المتطرفة فى إسرائيل. تأسس على يد الحاخام المتطرف حاييم دروكمان، الذى كان أحد مؤسسى المفدال، ثم انشق عليه فجأة ليتحالف مع جماعتين أخريين أكثر تطرفًا، هما: «جوش ايمونيم»

الاستيطانية الإرهابية «وأجودات يسرائيل»، التى توصف بأنها أكثر الجماعات اليهودية تطرفًا وميلاً إلى العنف. وتبنت جماعة «موراشا» هذه عدة أفكار بالغة التزمت والتعصب، وتنادى بما يطلقون عليه إحياء التراث الصهيونى فى المجتمع الإسرائيلى، وعدم الاعتراف بالقوانين المعمول بها.

*** * جماعة «يماد»:**

تأسست من اليهود «الأشكناز» الغربيين، خاصة ذوى الثقافة الأنجلوساكسونية على يد الحاخام يهودا عميطل، الذى تربطه صلة وثيقة بحزب العمل لحد وصف بعض الدوائر الصهيونية لهذه الحركة الدينية المتطرفة بأنها مجرد تكتيك سياسى لحزب العمل، بهدف إحداث توازن مع جماعات اليمين التى تساند الليكود، ووصف عميطل بأنه «الحاخام الأحمر»، الذى يسعى للتوفيق بين المفاهيم اليسارية والتصور العقائدى، وقد تعرضت هذه الجماعة إلى موجات حادة من الهجوم، والتحرش بأعضائها من جانب التنظيمات اليهودية المتطرفة الأخرى.

*** * أجودات يسرائيل:**

وهى ليست مجرد منظمة إسرائيلية محلية، بل هى فى الأصل منظمة عالمية، تأسست عام ١٩١٢، كانشقاق على منظمة المزراحى، وتضم عددًا كبيرًا من اليهود المتطرفين فى شتى بقاع الأرض، وبعد إعلان قيام الدولة.. وموقعه فى المعادلة السياسية الإسرائيلية كحزب دينى متطرف، يمثل ما يطلق عليه «مجلس كبار العلماء» أو المرجعية العليا فى تلك المعادلة. وتسببت هذه الجماعة فى عديد من الأزمات الوزارية فى إسرائيل، كان أبرزها ما حدث عام ١٩٩٠، حينما انضموا إلى تكتل الليكود وقتئذ، وحصلوا على مقعد وزارى وعدة مكاسب سياسية، كان أبرزها إعفاء طلاب المدارس الدينية التابعة لهم من التجنيد ـ يفوق عددهم عشرين ألف طالب ـ الأمر الذى قوبل باستهجان من الشارع الإسرائيلى برمته.

ويرى أعضاء هذه الجماعة أن دولة إسرائيل مجرد دولة علمانية، شأنها شأن أية دولة أخرى فى العالم، يعيش بها اليهود، ويرفضون الانخراط فى الجيش،

ويتهربـون من دفع الضرائب، باعتبار أن الـدولـة التى لا تطبق الشريعة التوراتية لا تستحقها، ويدافعون بضراوة عن الالتزام بالكوشير «الطعام اليهودى الحلال»، ويطالبون بعودة المرأة إلى المنزل، وعدم اشتغالها بالمهن أو الوظائف الحكومية أو القوات المسلحة، ويرفضون رفع العلم الإسرائيلى أو تحيته، ويعتدون بالضرب على من ينتهك حرمة يوم السبت، ويكرهون العرب، ويعبرون عن ذلك علانية، ويدعون إلى استخدام جميع الوسائل الكفيلة بالتطهير العرقى، وبالطبع يرفضون قيام أى كيان سياسى أو حتى اجتماعى للفلسطينيين، والأقل تطرفًا منهم ينادون بطرد العرب؛ ليعيشوا فى الأردن أو سيناء أو سوريا، المهم أن تبقى إسرائيل لليهود المتطرفين فقط، ولهذا التنظيم جناح عمالى هو «عمال أجودات»، الذى يقوده الحاخام المتطرف أفراهام فرديجر، الذى يذهب إلى أبعد حد ممكن فى تطرفه ضد كل ما هو ليس يهوديـًّا، وينادى بالتوسع فى الاستيطان، ويرفض معاهدة كامب ديفيد، وينادى بالحرب مع مصر؛ لاسترداد سيناء مرة أخرى، باعتبارها حسب زعمه جزءًا لا يتجزأ من إسرائيل الكبرى، ويرفض أيضًا الانسحاب من جنوب لبنان، أو من أى مكان وطئه أقدام جنود جيش «الدفاع»..

وفى هذه الجماعة تخرج عتاة الإرهابيين الصهاينة، مثل: مرتكب حادث الاعتداء على المصلين فى الحرم الإبراهيمى، كما شارك أعضاء هذه الجماعة فى كل المحاولات المتكررة لحرق المسجد الأقصى، أو هدم بعض أجزائه.

*** * يجيل هاتوراه:**

وهى أقل تطرفا من أجودات، ولكنها تتفق معها فى مسألة النقاء العرقى لليهود، والالتزام الصارم بالتقاليد التلمودية، ورفض كل ما هو فلسطينى أو عربى، وقد أسسها الحاخام المتطرف أفراهام رافيتس، الذى يرتبط عقائديـًّا بحركة شاخ الشرقية (من السفارديم).

نصل إلى محطة الجماعات اليهودية الأشد تطرفًا وشراسةً فى تعبيرها عن معتقداتها المتعصبة، وهى جماعات التكفير الشرقية «السفارديم الحديدية»، ويأتى فى مقدمتها:

*** * جماعة شاس:**

وهى تضم عددًا كبيرًا من أكثر المتطرفين تشددًا، الذين يرفضون كل شىء حتى دولة إسرائيل ذاتها، ويعيشون فى مجتمعات منغلقة «جيتو»، ويرتدون الملابس السوداء طيلة العام، ويتركون لحاهم وشعرهم دون حلاقة منذ الميلاد حتى الموت، ويعيشون فى أجواء تشبه القرون الوسطى إلى حد بعيد، ويتحدثون لغة أخرى غير العبرية، هى «اليديش»، وهى خليط من العبرية والألمانية والبولندية، ويرفضون الحديث مع الآخرين، الذين لاينتمون إلى جماعتهم، ويعتقدون أن من عداهم كفار ويستخدمون وسائل الإكراه الدينى، ومجرد ظهور أحدهم فى أحد الأماكن يعدّه رجال الأمن الإسرائيليين إنذارًا بوقوع كارثة؛ إذ إنهم يقدمون على كل هذه الأفعال عن قناعة، مؤداها أنهم يشنون حربًا مقدسة باسم الرب.

*** * جماعة حبد:**

وهى أخطر الجماعات المتطرفة قاطبة، ويقدر المراقبون أتباعها بحوالى ٣,٥ مليون نسمة فى مختلف أنحاء العالم، يوجد من بينهم فى إسرائيل أكثر من ٢٥ ألف متطرف، يلتزم كل واحد منهم بدفع راتب شهر سنويـًّا لدعم أنشطة الجماعة، فضلاً عن ملايين الدولارات التى تنهمر من يهود الشتات - يجرى جمعها، ليس باعتبارها تبرعات، بل تكفيرًا عن خطيئة الاستمرار فى الشتات - ويرأسها حاليّا الحاخام الإرهابى مناحيم مندل، الذى يعيش فى المنزل رقم ٧٧٠ بشارع كراون هايتس فى مدينة نيويورك، ويقضى معظم العام متنقلاً بين إسرائيل والولايات المتحدة.

ويطلق أتباع هذه الجماعة على منزل الحاخام فى مدينة نيويورك «أدمور حبد»؛ أى مقر الطائفة التى تمتلك فى أمريكا بنية تحتية قوية، وإمكانات مادية هائلة، يصفها المراقبون بأنها تفوق إمكانات بعض دول إفريقيا، فلهذه الجماعة ٣٥٠ فرعًا ومركزًا منتشرة فى نحو ١١٣ مدينة أمريكية، وفى كل مدن إسرائيل ومستوطناتها، ولها دار نشر عملاقة هى «دار كيحوت»، التى تعدّ أكبر دور النشر اليهودية فى العالم كله، وتقوم بطباعة وتوزيع كتب ومجلات ودوريات بـ ١٥ لغة، من بينها العربية والفارسية، كما تمتلك هذه المنظمة مركزًا من أكبر مراكز حفظ الوثائق التاريخية النادرة، وتصدر صحيفة يومية بأربع طبعات؛ وهى: الإنجليزية والفرنسية والعبرية والألمانية، وتسهم بجزء يتجاوز ٣٠٪ من رأسمال صحيفة «نيويورك تايمز»، وتقدر فروعها داخل إسرائيل بحوالى ١٤٦ مركزًا، وتدير أكثر من ٥٠ مدرسة دينية.

وقد ضبطت المباحث الفيدرالية عام ١٩٩٠، عصابة ينتمى كل أعضائها إلى هذه الجماعة، وتقوم بالاتجار فى الأطفال المختطفين من دول شرق أوروبا وروسيا وإفريقيا، لبيعهم لأسر يهودية، أو المتاجرة فى أعضائهم البشرية. وعلى الرغم من هذا، فإن لهذه الجماعة تأثيرها الهائل على صناع القرار الأمريكى، ويمثل قادتها جبهة ضغط (لوبى) قوية على الإدارة الأمريكية، فضلاً عن الدعم المادى اللامحدود، الذى تغدقه على إسرائيل والمستوطنين اليهود. وينادى زعيم هذه الجماعة دائمًا بأنه على إسرائيل ألا تعيد بوصة واحدة من الأراضى التى حررها جيش الدفاع من اللصوص العرب، ويحرص كل رؤساء الوزراء الإسرائيليين على زيارة المنزل ٧٧، مقر هذه الجماعة ورئاستها الدينية، والتحدث بكل أدب واحترام فى حضوره، لأنه يعلم جيدًا ماذا يمكن أن يفعل هذا الحاخام، لو قرر ليس إسقاطه هو فحسب، بل ودولة إسرائيل ذاتها لو اقتضى الأمر.

*** * حراس المدينة:**

وهى جماعة يهودية شديدة التطرف، يعنى اسمها بالآرامية «حراس المدينة»، تأسست كانشقاق على جماعة «أجودات يسرائيل»، وتتبنى هذه الجماعة أفكارًا بالغة الغرابة والشذوذ؛ إذ يعدّون الآخرين من اليهود غير أعضاء الجماعة ضالين، ويطلقون عليهم «الخراف الضالة»، وينعزلون تمامًا عن الدولة والمجتمعات، ويرون فى قيام إسرائيل نكبة كبرى؛ لأنها قامت على يد مجموعة من الكفار، ويعلنون ذكرى قيام إسرائيل يوم حداد يمزقون فيه ملابسهم السوداء، ويعتدون بالضرب على من ينتهك حرمة يوم السبت، ويحاولون دائمًا التهرب من الجمارك والضرائب، وتصل معتقداتهم الغريبة إلى حد عدم الاعتراف بالتوقيت، أو التاريخ الميلادى، فيعتمدون تقويمًا يصفونه بأنه مستمد من التوراة، ولهم توقيتهم الخاص، لدرجة أن زعيم هذه الجماعة الحاخام موشيه هرش يحمل فى معصمه ساعتين، إحداهما للتوقيت المعمول به فى إسرائيل، والأخرى حسب توقيت جماعته، الذى يوافق الساعة الثانية عشرة ظهرًا، نهاية يوم وبداية يوم جديد، وتذكر صحيفة «معاريف» الإسرائيلية سبب انشقاق هذه الجماعة عن «أجودات يسرائيل»، بأن مؤسسها الحاخام عميرام يلوى، حينما كان فى السبعين من عمره، وعقب وفاة زوجته، وقع فى حب سيدة كانت ملكة جمال فرنسا، وتدعى «جيورت روث»، وأن هذه السيدة كانت مسيحية بالميلاد، ثم تهودت على يد حاخامين يهوديين فى فرنسا، ولم توافق المحكمة الدينية على التصريح لعميرام بالزواج من هذه السيدة؛ لأنه حاخام لا يجوز له الزواج إلا من فتاة بكر، وثانيًا؛ لأن السيدة لم تقم الأدلة الكافية على تهودها بطريقة صحيحة، وفقًا لمفاهيم ومعتقدات هذه الجماعة، ولن تستطيع ذلك لوفاة الحاخامين اللذين قاما بتهويدها، وهو القرار الذى رفضه عميرام، فقرر الانفصال، وانشق على الجماعة مكوّنًا جماعته الخاصة المعروفة «بناطورى كارتا».

*** * جماعة ساطمر:**

نشأت هذه الجماعة فى الولايات المتحدة أصلاً عقب حرب ١٩٦٧، وانتقل نشاطها بعد ذلك إلى إسرائيل، وتعتمد فى معتقداتها على أفكار مؤسسها الحاخام «ميم ساطمر»، الذى أصبح أتباعه يتجاوزون ربع مليون متطرف. ويرى أعضاء هذه الجماعة أن اليهود من غير الجماعة شعب من العصاة والمارقين، ولايستحقون حتى الحياة، ويتهمون أتباع جماعة «حبد» بأنهم مجموعة من الأفاقين، الذين يأتمرون، بأوامر زعيمهم الملياردير «منديل».

وبعد... فقد كانت تلك نبذة عمن أسسوا للفكر اليمينى المتطرف، الذى ساد فى الشارع الإسرائيلى منذ نشأتها (إسرائيل) الأولى وتأجج هذه الأيام، لكى يستحث بدوره نموّا مماثلاً للجماعات المتطرفة على الضفة الأخرى (منطقتنا) مساوية فى المقدار (غلواء الفكر والعنف) ومضادة فى الاتجاه.

* * *